

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

. @ 176 @

وسبق في الثمرة التاسعة في بحث الصحيح شذرة من هذا البحث الجليل فتذكر . .
وقد توسع فيه وأجاد صديقنا مؤلف كتاب أشهر مشاهير الإسلام بقوله تحت عنوان : ما كل
حديث تحدث به العامة وندم أبي عبيدة على نقله الحديث لعامة الناس () ما صورته : ()
كل مسلم أكتنه كنه الدين الإسلامي ، ووقف على حكمه وأسراره ، يرى من آياته العظمى في
الترغيب والترهيب ، ما لو أحسن استعماله ووضع في موضعه ، لكفى لإزعاج النفوس الشريرة عن
مواطن الرذيلة ، مهما التصقت بها ، وأمعت فيهان ولجعل النفوس البارة نورا على نور ،
وألبسها من الفضيلة لباساً لا يصيبه بلى . وقد جاء الكتاب الكريم بالترغيب ، ليكون
باعثاً للنفوس على العمل الصالح رجاء الثواب الأخروي ، الذي أعده الله لعباده الصالحين ،
لا ليكون لاستدراج النفوس في مدارج الاستباحة ، طمعاً في عفو الله . لهذا جاء بإزاء الترغيب
بالترهيب ، لترسم على صفحات النفوس صورة العقاب كما ارتسمت صورة الثواب ، فيكون لها
منها داع إلى الخير ، يذكرها بالثواب ، ويمكن منها الرغبة فيه لا إلى حد الطمع والغرور
، ثم الاستدراج في الشرور ؛ وزاجر عن الشر يذكرها بالعقاب ، ويمكن منها الرهبة منه لا
إلى حد الانقطاع إلى تقويم أود النفس وتعطيل وظائف الحياة ، ولا إلى حد اليأس والقنوط ،
ثم الاسترسال في الشهوات ، واقتراف المنكرات . على ذلك الأساس ، بنى الترغيب والترهيب في
الإسلام وكل ما جاء منه في الحديث النبوي ، فالمراد منه عين ما أراده القرآن ، ولكن ما
الحيلة ، وقد أولع كثير من علماء المسلمين بالإفراط في الوعظ ترغيباً وترهيباً ، وحملوا
عامة الناس على طريقتهم في فهم الدين ، فأكثرُوا من حمل الحديث وروايته ، دون التفهم له
، والعلم بمقاصده ، ووضع كل شيء منه في محله ، والتفريق بين صحيحه وموضوعه ، حتى أغروا
العامة بعقيدة الإباحة ، لكثرة ما يروون لهم من أحاديث الترغيب ، ولو موضوعه ، حتى
أغروا العامة بعقيدة الإباحة ، لكثرة ما يروونه لهم من أحاديث الترغيب ، ولو موضوعة ،
كفضائل الصيام والصلاة ، وفضائل الشهور والأيام ، وفضائل التلاوات ؛ وجلها - إن لم نقل
كلها - من